بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي فضَّلنا بالقرآن على الأمم أجمعين، وآتانا به ما لم يؤت أحدًا من العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

أما بعد:

فإنَّ الأفعال المتعدّية بحرف والتي يدّعي النَّحويّون أنَّ حرف الجر فيها واسطة تساعدها على الوصول إلى المفعول، نقول: إنَّ هذا النوع من الأفعال ليس حرف الجرّ المصاحب واسطة للتعدية؛ لأنَّ الفعل ليس قاصرًا على الوصول إلى مفعوله بنفسه، وإنَّما يؤتى بحرف الجرّ لتحقيق غاية دلالية معيّنة تُزاد على معنى الفعل والمفعول، والفعل في الحالتين متعدّ، ولا يقال: إنَّه متعدٍّ بحرف جرّ.

وقد كان حريٌ للغة العربيّة، وولعي بها، منطلقًا من كونها لغة القرآن الكريم، لذا وجب أنْ استثمر ما تعلمته من قواعد اللغة في البحث عن أسرار كلام الله تعالى، والكشف عن مدلولاته العميقة، ولطائفه المكنونة، وقد اعتمدت على تلك الشّذرات الرَّائعة التي وجدتها متناثرة في كتب التَّفسير والإعجاز، التي تكشف عن حكمة القائل، ودقّة اللغة، وفطنة المفسّر.

اتّبعت منهجًا يقوم على استقراء عدد من أفعال القرآن الكريم لم تأتِ على وتيرة واحدة من حيث تعدّي الفعل بالحروف، فحاولت الوقوف على الفروق الدّلاليّة بينها، رافضة القول ب(النيابة)، أو(التَّضمين).

اشتمل البحث على مقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث، تناولت في(المبحث الأول): بين تعدية الفعل بـ(إلى) وتعديته بـ(اللام)، و(المبحث الثاني): بين تعدية الفعل بـ(الباء) وتعديته بـ(في)، و(المبحث الثالث): تعدية الفعل بأكثر من حرفين. فالأفعال في كل مبحث كثيرة ولكني سأعتمد نماذج منها.

وأختم البحث بخاتمة تتضمن خلاصته ونتائجه، أعقبها ثبت بمصادر البحث ومراجعه.

٢٢
رجب
١٤٤٠هـ
٣٠ آذار
٢٠١٩م

التَّمهيد

إذا كان الكوفيّون قد اتخذوا(التّناوب) مخرجًا لتسويغ اختلاف التعدية، فإنَّ البصريّين لم يكونوا أكثر توفيقًا منهم حينما قالوا بـ(التّضمين).

يبدو أنَّ صعوبةَ التّوصّل إلى الفروق الدّلاليّة الدّقيقة بين حرف وآخر، ألجأ النّحاة إلى القول بـ(النّيابة)، أو بـ(التّضمين)، والدليل على ذلك عجزهم عن إدراك الفروق الدّقيقة بين الألفاظ في السياقات المختلفة أنَّهم اشترطوا ألا يلجأ إليه إلاّ عند انقطاع الأسباب المُوجبة لبقاء اللفظة على أصلها.

والنحويّون في سلوكهم هذا- ولاسيَّما في القرآن الكريم- يتجاهلون القيمة التّعبيريّة للمفردة القرآنيّة، والحكمة من استعمالها. وإذا كان(التّناوب)، أو(التّضمين) مقبولاً في كلام النّاس، فينبغي أنْ يُجلّ كتاب الله تعالى عنه؛ لأنَّ مثل هذا الكلام يذهبُ بجلالِ الحرفِ القرآنيّ ووظيفته، فليس معنى كونه جائزًا في اللغة العربيّة أنْ يكونَ كذلك في القرآن الكريم، فكلّ حرفٍ من هذا الباب له رسالة، ويؤدّي في موقعه وظيفة [١].

وهذا ما أكّده الطبري من أئمة اللغة والتّفسير(ت٣١٠هـ)، بقوله: ((إنَّ لكلِّ حرف من حروف المعاني وجهًا هو به أولى، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره...، ولحروف الجرّ في كلّ موضع دخلت من الكلام حكم، فلا يصلح في موضع(إلى) غيرها، لتغيّر الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها، وغير جائز سلبها معانيها في أماكنها))[٢].

والطريقة المثلى هنا أنْ يُنظر إلى تلاحم الفعل مع الحرف المُعدّى به، وما يؤديه من معنى كان مقصودًا بدخوله عليه، وتُحلّل كلّ الأفعال التي قيل فيها بـ(التّضمين) على هذا النَّحو.

المبحث الأوّل:

بين تعدية الفعل بـ(إلى) وتعديته بـ(اللام)

الفعل(أتمَّ):

نلاحظ أنَّ الفعل(أتمَّ) قد عُدّي بـ(إلى) في القرآن الكريم مرّتين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِم عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِنَ﴾[٤]. للإشارة إلى وجود فاصل زمني طويل بين بداية الصّوم ونهايته، وما فيه من مشقّة وعناء، وهي العلّة نفسها الموجبة لاستعمال(إلى) في آية التّوبة.

وعُدّي بـ(اللام) مرّتين أيضًا، في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ﴾[٥]، للدلالة على أنَّ الحج والعمرة يجب أنْ يكونا خالصين لوجه الله تعالى وحده[٦]. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[٧]. فهذه الآية تحتمل أمرين، أحدهما: أنَّ اللام فيها تدلّ على التّعليل، أي: أتمم لأجلنا نورنا جزاء لنا على إيماننا وحسن صنيعنا، والآخر: أنَّها تدلّ على انتهاء الغاية من غير وجود مسافة زمنيّة طويلة، فـ(اللام) تدلّ على شدّة شغفهم وتلهفهم ورغبتهم في سرعة وصول النّور إليهم، قال الزّمخشريّ: ((السَّابقون إلى الجنَّة يمرّون مثل البرق على الصّراط المستقيم، وبعضهم كالرّيح، وبعضهم حبوا زحفًا، فأولئك الذين يقولون: ربّنا أتمم لنا نورنا))[٨].

الفعل (أخبت):

عُدّي هذا الفعل في القرآن الكريم بـ(إلى) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[٩]. وعُدّي بـ(اللام) في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾[١٠].

فقد فرق الزبيديّ(ت١٢٠٥هـ) بين التّعديتين، إذ رأى أنَّ معنى(أخبت إليه): أطمأنّ، ومعنى(أخبت له): خشع وتواضع[١١]. وهذا ما ذهب إليه الطباطبائيّ رادًا قول من قال: إنَّ(إلى) بمعنى(اللام)، إذ قال: ((فالمراد بـ(إخباتهم إلى الله): اطمئنانهم إليه بحيث لا يتزلزل ما في قلوبهم من الإيمان به، فلا يزيغون ولا يرتابون كالأرض المطمئنة التي تحفظ ما استقر فيها، فلا وجه لما قيل: إنَّ الأصل(أخبتوا لربهم)[١٢]، فإنَّ ما في معنى الاطمئنان يتعدّى بـ(إلى) دون (اللام)))[١٣].

لكنّنا نلاحظ من سياق الآيتين الكريمتين أنَّ هناك فرقًا دلاليًّا واضحًا، فـ(أخبتوا إلى ربّهم) تدلّ على أنَّهم آمنوا وأيقنوا واطمأنوا كامل الاطمئنان بأنَّ الاستقرار والسّكينة لا يكونان إلا بالتوجه إلى الله تعالى وجعله نهاية الغاية، ومنتهى القصد، أمَّا(فتخبت له) فتدل على خشوع قلوب الذين أوتوا العلم وخضوعها لكلام الله تعالى، ويتّضح ذلك من سياق الآية الكريمة: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾(١٤). فالله تعالى يفرّق بين قلب خاضع خاشع عامر بالإيمان، وقلب مرتاب مضطرب لا يعي الحقّ حتى يحلّ به العذاب.

زيادة على ذلك أنَّ(أخبت له) يدلّ على سرعة الإخبات، فمجرد أنْ يخترق كلام الله تعالى قلب المؤمن يخضع له لما فيه من الإعجاز، في حين أنَّ التّوجّه إلى الله تعالى يتطلب مسافة زمنيّة، ومشقّة كبيرة يجاهد فيها المؤمن نفسه، وغرائزه وكلّ الموبقات قبل أنْ يتحقّق ذلك التّوجّه الخالص؛ لذلك جاء الإخبات إلى الله تعالى في آية هود بعد الإيمان والعمل الصالح، وجاء الجزاء بعده مباشرة وهو الجنَّة، في حين أنَّ الإخبات لكلام الله تعالى في آية الحج تبعته هداية الله تعالى إلى صراط المستقيم، فـ(الإخبات إلى الله تعالى) مرحلة لاحقة للإخبات له، لا تتحقّق إلا بعد الاطمئنان الكامل والتّوجّه إلى الله تعالى بخشوع وتواضع، ولا بدَّ أنْ يتضمّن معنى (الإخبات له) بخلاف(الإخبات لله)، فإنَّه يعني التوجّه الأوّليّ فحسب، وقد أحسن الزّمخشريّ إذ فسَّر(أخبتوا إلى ربّهم) بمعنى: ((اطمأنوا إليه، وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتّواضع))(١٥).

الفعل(وسوس):

عُدّي الفعل وسوس بـ(اللام) في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا﴾(١٦)، وعُدّي بـ(إلى) في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾(١٧).

وفرّق الزّمخشريّ بين التّعديتين إذ رأى أنَّ معنى(وسوس له): فعل الوسوسة لأجله، و(وسوس إليه): أنهى إليه الوسوسة(١٨)، في حين ذهب العكبريّ إلى تضمين(وسوس) معنى(أسرَّ)(١٩)، ويرى الشمسان أنَّ اللام تدلّ على الملكيّة، أي أنَّ معنى(وسوس له):

أعطاه الوسوسة، أمّا(وسوس إليه): فيدلّ على اتجاه حركة الفعل أي: وجّه وسوسته إليه[٢٠].

والذي يبدو من ملاحظة سياق الآيتين نجد أنَّ آية الأعراف لا تتضمّن تحذيرًا مباشرًا من الله تعالى لآدم وزوجه من الشّيطان وعداوته ومكره، ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٢١] ما جعل الشَّيطان يقترب منهما، ويوحي إليهما أَنَّ ما يقوله لأجلهما، حتَّى أنَّه أقسم أنَّه لهما ناصح[٢٢]، فقد تظاهر الشّيطان أنَّه يقدّم لهما النّصيحة رغبة منه في تحقيق الخير والمنفعة لهما، فجاءت اللام لتعبّر عن قربه منهما، وإرادته الخير لهما، أمّا آية طه فقد تضمّنت تحذيرًا مباشرًا من الله تعالى لآدم من الشّيطان الرّجيم ومكره وعداوته، ما جعل الشّيطان الرّجيم يُلقي إليه الوسوسة من بعيد؛ لأنَّه لم يعد قادرًا على الاقتراب منه، والوسوسة له بعدما عرف عداوته، فجاء بـ(إلى) ليشير إلى وجود مسافة بين المُسوِس والمُوسوَس إليه، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾[٢٣].

المبحث الثّاني:

بين تعدية الفعل بـ(الباء) وتعديته بـ(في)

الفعل(ألقى):

ورد الفعل متعديًّا إلى مفعوله الثّاني بـ(الباء) مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾[٢٤]، فلا شكَّ أنَّ هذا الإلقاء لم يكن إلقاء عقوبة وشدّة، بل كان إلقاء إنقاذ من باطن البحر إلى ساحله، إنَّه إلقاء يقع في صميم الرّحمة، والعناية الإلهيّة، لا في موضع الغضب والعقاب، فجاء حرف(الباء) ليدلّ على التّصاقه بشاطئ البحر بعد إنقاذه من جوفه، لذا فقد استعمل الله تعالى(في) مرّتين في صدر الآية: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾[٢٥]، ليدلّ على أنَّه قُذف في عمق التّابوت، ثمَّ في عمق البحر قبل أنْ يلقيه البحر بالساحل.

وورد بـ(في) ستَ عشرةَ مرّة، دلّت في المواضع جميعها على تغلغل المُلقى في عمق المكان المُلقى فيه، فقد استُعمل أربع مرّات للدلالة على ثبوت الجبال في الأرض، ورسوخها فيها، قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[٢٦]، و﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٢٧]، واستُعمل مرّتين للدلالة على تغلغل الرعب في قلوب الكافرين، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ﴾[٢٨]، وقوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[٢٩]. فـ(في) هنا((تشعر برسوخ هذه الرواسي داخل الأرض، كالمسامير لها تشدّها، وكذلك إلقاء الرّعب في القلوب: قذف للرعب في وسط القلب ليتمكّن فيه))[٣٠].

واستُعمل سبع مرّات للدلالة على ثبوت الكافرين في قعر نار جهنّم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[٣١]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ﴾[٣٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي أَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٣٣]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ﴾[٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾[٣٥]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُم خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[٣٦]. فـ(في) في هذه الآيات دلّت دلالة واضحة على تغلغل الكافرين في أعماق جهنم، وثبوتهم في جوفها.

واستُعمل أيضًا للدلالة على عمق البئر الذي ألقي فيه يوسف(ع) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾[٣٧]، واستُعمل لدلالة نفسها في قوله تعالى مخاطبًا أمّ موسى(ع): ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[٣٨].

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[٣٩]، فقد ذهب أكثر اللغويّين والمفسرين إلى أنَّ التمني في الآية الكريمة معناه: التلاوة[٤٠]. يقول الطباطبائيّ أنَّ التمني هنا هو تمني القلب، والمعنى أنَّ الأنبياء والرسل يتمنّون في قلوبهم إيمان الناس بالله تعالى، وإقبالهم عليهم، فيلقي الشيطان في هذه الأمنية بما يوسوس في صدور الناس[٤١].

فهذا التّفسير ينزه الرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الغلط، والسهو، ووسوسة الشيطان له.

إذن أنَّ(في) دلَّت في المواضع جميعها التي استُعملت فيها مع فعل(الإلقاء) على التّغلغل، والعمق، والرسوخ.

الفعل(غرَّ):

عُدّي الفعل إلى مفعوله الثاني في القرآن الكريم بـ(الباء) أربع مرّات، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾[٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ﴾[٤٣]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾[٤٤]. وعُدّي بـ(في) مرّة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[٤٥]، وهذا ما جعل الشمسان يعدّ(في) بمعنى(الباء)، ولم يستبعد أنْ تكون جملة(فِي دِينِهِم) معترضة بين الفعل وفاعله، وليست المفعول غير المباشر[٤٦].

والذي يُلحظ أنَّ المواضع جميعها التي عدي فيها الفعل(غرَّ) بـ(الباء) اقترن فيها الفعل بالله تعالى، في حين أنَّ الغرور المتعدّي بـ(في) كان في الدّين. فإنَّنا نرى أنَّ الغرور المعدّى بـ(الباء) لم يقع في ذات الله تعالى وحقيقته، وإنَّما وقع بما ألصقوه فيه من ملذّات خارجيّة ألهتهم عن ذكره وطاعته، حتّى عبدوها إلى جنب عبادة الله تعالى. لذلك نستبعد ما ذهب إليه عدد من المفسّرين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾ من أنَّ كرم الله تعالى هو الذي غرَّه، مستدلّين بلفظة(الكَرِيمِ)، كأنّ الله تعالى لقَّنه الإجابة لكي يقول: غرني كرمك[٤٧].

والأولى ما رواه أكثر المفسّرين عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) من أنَّه قال عند نزول الآية الكريمة: غرَّه والله جهله[٤٨]. ((ومن هنا يقترب لنا هدف هذه الآية، فهي تدعوا الإنسان لكسر حاجز غروره، وتجاوز حال الغفلة، وذلك بالاستناد على مسألة الربوبيّة، والكرم الإلهي، وليس كما يحلو للبعض أنْ يصوّر هذه الآية على أنَّه تلقين الإنسان عذره))[٤٩].

يتبين من الآيات الكريمة السَّابقة أنَّ هناك فرقًا بين قولنا: (غرَّه بالله)، و(غرَّه في الله)، فـ(غرَّه بالله) معناه أنَّه غُرَّ بأشياء خارج الذّات الإلهيّة فألصقها بها، و(غرَّه في الله) يعني: أنَّه غُرَّ في ذات الله تعالى، ولذلك عُدّي الفعل بـ(في) في قوله تعالى:﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، فقد أجمع المفسّرون على أنَّها نزلت في طائفة من أهل الكتاب كانوا يُدخلون في دين الله تعالى الافتراءات ما يخدعون به أنفسهم، من تلك الافتراءات قولهم: إنَّهم أبناء الله تعالى وأحبّاؤه، وقولهم: لن تمسَّنا النَّار إلاَّ أياما معدودات[٥٠]. ((وهم مع ذلك كرّروا ذكر ما افتروه على الله تعالى ولم يزالوا يكرّرونه ويلقّنونه أنفسهم حتّى أذعنوا له، أي: اطمأنّوا وركنوا إليه بالتلقين الذي يؤثّر أثر العلم – كما بيّنه علماء النّفس– فصارت الفرية الباطلة بالتكرار والتّلقين تغرّهم في دينهم))[٥١].

الفعل(نبذ):

ورد الفعل متعدّيًا إلى مفعوله الثّاني في القرآن الكريم بـ(الباء) في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[٥٢]، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٥٣]. وورد متعدّيًا بـ(في) في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٥٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[٥٥].

ذهب الشمسان إلى أنَّ طبيعة المكان هي التي تحدّد استعمال أحد الحرفين، فقد ((استُخدمت[٥٦] (الباء) و(في) للدلالة على موضع الفعل، أي: القيد المكاني للفعل، وليس استخداما اعتباطيًّا، بل هو على نحو دقيق ولطيف، فـ(الباء) استُخدمت للتعبير عن المكان المكشوف، أمَّا(في) فحينما يكون المكان محتويًا على المنبوذ، أو الحال بالمكان))[٥٧].

وفرق الدّكتور محمّد داود بين التّركيبين من جهة أنَّ(نبذه بالعراء) يدلّ على أنَّ المنبوذ ملتصق بالأرض، وليس مطروحًا فيها، لذلك جاء في سياق العذاب المخفّف لنبيّ الله يونس(ع)، ذلك العقاب الذي لا تغيب عنه الرّحمة والعناية الإلهيّة، ويدلّ على ذلك قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾[٥٨] تظله بظلّها، في حين أنَّ(نبذه بالعراء) يدلّ على التّعمق والغوص، لذلك جاء في سياق عقاب الكافرين[٥٩].

ويبدو أنَّ هذا الرأي هو الأرجح؛ لأنَّ الآيتين اللتين عُدّي فيهما الفعل بـ(الباء) كان المنبوذ فيهما نبيّ الله يونس(ع)، والآيتين اللتين عُدّي فيهما بـ(في) كان المنبوذ فيهما فرعون وجنوده، فاستعمال(الباء) يدلّ على ضعف المنبوذ، والتصاقه بظاهر الأرض منكسرًا تائبًا إلى الله تعالى، وعدم مكوثه طويلًا في مكان النبذ، حتّى أنَّ الله تعالى أثبت في آية الصّافات نبذه سقيمًا، ونفى في آية القلم نبذه مذمومًا، ((وكان مقتضى عمله أنْ ينبذ مذمومًا، فمنع من ذلك تدارك نعمة ربّه له، فنُبذ غير مذموم، بل اجتباه الله، وجعله من الصالحين))[٦٠].

أمَّا استعمال(في) مع نبذ الكافرين، فيدلّ على شدّة النّبذ، وقوة النّابذ، وقدرته على طمس المنبوذين في أعماق البحر.

المبحث الثّالث:

تعدية الفعل بأكثر من حرفين

الفعل(خرج):

عُدّي هذا الفعل في القرآن الكريم إلى مفعوله بـ(إلى) للدلالة على انتهاء الغاية في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٦١).

وعُدّي بـ(الباء) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَقَد دَخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾(٦٢).

وعُدّي بـ(على) في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾(٦٣)، وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٦٤)، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾(٦٥).

وعُدّي بـ(في) في موضعين، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾(٦٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾(٦٧).

وعُدّي بـ(من) للدلالة على ابتداء الغاية في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٦٨).

جاء كل حرف في موضعه مؤدّيًا الغرض، ومعبّرًا عن المعنى المطلوب الذي لا يؤدّيه غيره، فقد استعمل جلّ جلاله(إلى) في آية الحجرات التي تتحدّث عن قوم جاؤوا إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) وقت الظهيرة، وجعلوا ينادونه: يا محمّد اخرج إلينا(٦٩). فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، فالله تعالى يأمرهم أنْ يصبروا ويتأنّوا حتّى يخرج إليهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم). وجاء(إلى) ليدلّ على المدّة الزمنيّة التي يستغرقها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) في حركته الانتقاليّة للوصول إلى منتهى غايته، ففي استعمال (إلى) تنبيه لهم على أمرين، الأوّل: أنَّ هناك فاصلاً زمنيًّا يتطلّبه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) للخروج، والثاني: أنَّهم يجب أن يتأكّدوا أنَّ خروجه إليهم، لا إلى غيرهم، قال

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ

٣٠ آذار ٢٠١٩م

الزّمخشريّ: ((فإنْ قلت: فأي فائدة في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾؟ قلت فيه: إنَّه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم، للزمهم أنْ يصبروا إلى أنْ يعلموا أنَّ خروجه إليهم))[٧٠].

وعُدي الفعل بـ(الباء) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾، فالآية الكريمة في أناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله محمّد(صلى الله عليه وآله وسلّم) كافرين، ويخرجون من عنده من دون أنْ يعلق بقلوبهم شيء ممّا قاله(صلى الله عليه وآله وسلّم)[٧١]، فـ((الباء في قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ﴾ يفيد بقاء الكفر معهم حالتي الدخول والخروج من غير نقصان، ولا تغير فيه البتة، كما تقول: (دخلَ زيدٌ بثوبه)، و(خرج به)، أي: بقي ثوبه حال الخروج كما كان حال الدخول))[٧٢]. لذلك سمّاها الآلوسيّ باء الملابسة[٧٣].

وعُدّي الفعل بـ(على) في قوله تعالى في قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾، للدلالة على استعلائه وتكبّره، فقد ذكر المفسّرون أنَّه خرج في أربعة آلاف دابة، عليها أربعة آلاف فارس، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، والحلي، والديباج[٧٤]. وقيل: خرج في سبعين ألفًا[٧٥]، وعن يمينه وعن يساره مئات الغلمان والجواري[٧٦]. فلم يكن خروج قارون إلى قومه، إذ لم يكونوا غايته وقصده، ولم يكن خروجه لهم، أي: لأجلهم، وإنَّما خرج لإظهار قوّته وتجبّره وكبريائه.

أمَّا استعمال(على) في قوله تعالى في زكريا(ع): ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾، فيحتمل أمرين، (الأوّل): أنَّ(على) تدلّ على الاستعلاء الحقيقيّ، فقد ذكر المفسّرون أنَّ المحراب في ذلك الزّمان كان في موضع مرتفع يُرتقى إليه بعدّة درجات[٧٧]، و(الثّاني): أنَّ(على) تدلّ على المفاجأة، أي: سرعة خروجه ومباغتته لهم، ولا شكّ في أنَّ سرعة الظهور والبروز، ومباغتة الآخر، تؤدّي إلى الاستعلاء المجازيّ.

والأمر نفسه يقال في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز مخاطبة يوسف(ع): ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾، فامرأة العزيز حرصت على جعل خروج يوسف(ع) مفاجئًا للجميع، وإيثارها(اخرج عليهنَّ)، على(ادخل عليهنَّ) يدلّ على أنَّه كان متخفيًّا في داخل البيت[٧٨]. ((والخروج مع(على) إشارة إلى التبيين بعد الاختفاء، أو بعد الدخول، دون الإشارة إلى حركة انتقاليّة طويلة))[٧٩].

وعُدي الفعل بـ(في) في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُم إِلاَّ خَبَالًا﴾، ذكر المفسّرون أنَّ الآية الكريمة تخاطب المؤمنين وتبيّن لهم أنَّ المنافقين إذا خرجوا معكم مدّعين الجهاد، فإنَّهم لن يزيدوكم إلَّا مزيدا من الاضطراب؛ لأنَّهم سيفرقون كلمتكم، ويثيرون الفتن بينكم[٨٠]. فالقرآن الكريم آثر استعمال(في) للدلالة على تغلغل هؤلاء المنافقين في داخل صفوف المؤمنين، فلم يكن خروج المنافقين مع المؤمنين، بل فيهم، ((فكأنَّهم في دخولهم وسط الجماعة إنَّما يضعفون من تماسكها، وهكذا معنى لا تؤدّيه(مع) التي تفيد المعيّة، التي لا تدلّ على أنَّ مدخولها من لُحمة الشيء ومحتواه))[٨١].

وعُدّي الفعل بـ(في) في قوله تعالى في شجرة الزّقوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾، ولعلّ سائلا يسأل لِمَ لم يقل الله تعالى: (تخرج من أصل الجحيم)؟ والجواب: أنَّه لو قال كذلك، لدلّ على أنَّ منبت الشجرة ومُبتدأها من الجحيم، غير أنَّها لا يدلّ أنَّه فيها، فربّما تبدأ من داخل الجحيم وتنتهي خارجها، أمَّا قوله تعالى: ﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾، فيدلّ بحكم دلالة(في) على الظرفيّة – على أنَّ الجحيم مبدأ الشجرة ومنتهاها، وقد أشار المفسّرون إلى أنَّها تنبت في قعر جهنّم، وتتفرع أغصانها في دركاتها[٨٢].

الفعل(خرَّ):

ثبت في المعجمات أنَّ(الخرور) يعني السقوط من الأعلى إلى الأسفل، ويتعدى فعله بـ(على) و(اللام)، و(من)[٨٣]. وورد في القرآن الكريم متعدّيًا بـ(على) في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[٨٥].

وعُدّي بـ(اللام) في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا﴾[٨٦]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[٨٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٨٨].

وعدُّي بـ(من) للدلالة على ابتداء الغاية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾[٨٩].

اختلف النّحويّون والمفسّرون في سبب إيثار(اللام) في آيتي الإسراء﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، فمنهم من ذهب إلى أنَّ(اللام) بمعنى(على)[٩٠]، ومنهم من ذهب إلى أنَّ

المقصود بـ(الأذقان) في الآية الكريمة: الوجوه، فهو من باب تسمية الشيء بجزئه، أو بما يجاوره، ولم يستعمل(على)؛ لأنَّه لا يجوز السّجود على الوجه[٩١]. وقيل: إنَّ((العرب تقول إذا خرَّ الرجل فوقع على وجهه: (خرَّ للذقن)))[٩٢]. وقيل: إنَّ(اللام) للاختصاص[٩٣]، ((فكأنَّهم خصّوا أذقانهم بالخرور، أو خصّوا الخرور بأذقانهم))[٩٤]، واعترض عليه بحجّة أنَّ الخرور ليس مختصًّا بالذقن، ورُدَّ بأنَّ المقصود اختصاص تعلّق، لا اختصاص حصر[٩٥].

وإذا كان العلماء قد اختلفوا في سبب إيثار(اللام) في آيتي الإسراء، وذهب عدد منهم إلى جعل(اللام) بمعنى(على)، فأنَّهم اختلفوا أيضًا في سبب إيثار(على) في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾، فذهب قسم منهم إلى جعل(على) بمعنى(عن)، وجعل(عن) بمعنى (لام العلّة)، والتقدير: (فخرَّ عنهم السّقف)، أي: خرَّ عن كفرهم وجحدهم بالله، أي: من أجل كفرهم، كما تقول العرب: (اشتكى فلان عن دواء شربه)، أي: من أجل دواء[٩٦]. وردّه الآلوسيّ بقوله: ((ولا يخفى أنَّه تطويل من غير طائل، بل كلام لا ينبغي أنْ يتفوه به فاضل))[٩٧].

ولا أعلم لماذا يُلجأ إلى هذا التّطويل والتكلّف، ولاسيّما أنَّ الفعل يتعدّى بـ(على) في الأصل، ويمكن أنْ يقال: ((إنَّ كثيرًا من السّقوف يكون أرضًا لقوم وسقفًا لآخرين، فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين: وهما قوله:(عليهم) ولفظة(خرّ)؛ لأنّها لا تستعمل إلاَّ فيما هبط أو سقط من العلوّ إلى سفل))[٩٨].

ولعلّ ما يثير الانتباه تعدية الفعل بـ(على) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، قيل: إنَّه تضمّن معنى(الإقامة)، وهو((نظير قول العرب: سببتُ فلانًا، فقام يبكي، بمعنى: (فظلّ يبكي)، ولا قيام هناك، ولعلّه أنْ يكون بكى قاعدًا))[٩٩]، وقيل: إنَّه تضمّن معنى(المرور)[١٠٠].

ويبدو أنَّ استعمال(على) مع الفعل يدلّ على الشّرّ والمكروه، بخلاف(اللام) الذي يدلّ على المنفعة والخير، فإنّنا نرى أنَّه استعمل(على) في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾، للدلالة على نزول العذاب عليهم، واستعمل(على) في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾؛ لأنَّه نفى أنْ يكون خرورهم خرور من هو أصمّ وأعمى لا يدرك ما يفعل، ولا يعي ما يصنع، ومثل هذا الخرور هو على الآيات، لا لها، واستعمل(اللام)

في قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، للإشارة إلى الخير الذي يعود للأذقان المكنّى بها عن منزلة الإنسان وكرامته. وكذا في قوله تعالى في أخوة يوسف(عليه السلام): ﴿وخرّوا له سجّدًا﴾، ولا أظن أنَّ(اللام) لام العلّة والتقدير: (وخرّوا من أجله سجّدًا لله)، كما قال بعضهم[١٠١]، هربًا من إيقاع السّجود لغير الله تعالى؛ لأنَّ المقصود بـ(السّجود) هنا سجود تكريم، لا سجود عبادة[١٠٢]. ولا أعلم ما يقولون في قوله تعالى في صدر السّورة نفسها: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[١٠٣]، أليست الآية صريحة في دلالتها على سجودهم ليوسف(عليه السلام)؟.

الفعل(مشى):

ورد هذا الفعل في القرآن الكريم متعدّيًا إلى مفعوله بـ(في)، و(على)، و(الباء)، فقد تعدّى بـ(في) ثماني مرّات تجمعها دلالة واحدة، هي التّغلغل في الشّيء، والتمكّن منه، أو احتوائه الماشي، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَواْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾[١٠٤]، ((أي: في أثناء احتواء الضياء لهم))[١٠٥].

وعُدّي بـ(في) في سياق النّهي عن المشي بتكبّر، وعبّر عن إحساس الماشي بتمكّنه في الأرض، وقدرته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[١٠٦]، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٠٧]. وفي سياق الحديث عن مشي الأقوام الهالكة في مساكنهم ظانّين أنْ لن يقدر عليهم أحد، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾[١٠٨].

وعُدّي بـ(في) أيضًا في سياق الحديث عن الرسول الكريم محمّد(صلى الله عليه وآله وسلّم)، وغيره من الرّسل، وهم يمارسون أمور حياتهم الدّنيويّة شأنهم شأن كلّ النّاس، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾[١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾[١١٠].

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ
٣٠ آذار ٢٠١٩م

وعُدّي بـ(في) أيضًا في سياق الدّعوة إلى الغرور في مسالك الأرض وطرقها، والبحث عن العيش الكريم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[١١١].

وعُدّي الفعل بـ(على) في وصف المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[١١٢]، فلم يقل جلّ وعلا: (يمشون في الأرض)، بل آثر(على) ليناسب تمام المناسبة المعنى المراد، قال الرازيّ في تفسير الآية: ((والمعنى أنَّ مشيهم يكون في لين ووقار وتواضع، ولا يضربون بأقدامهم، ولا يخفقون بنعالهم أشرًا ولا بطرًا))[١١٣]. نلاحظ أنَّه تعالى قال: ((﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾[١١٤]، وما قال: (على الأرض)، وذلك لمَّا وصف العباد بيّن أنَّهم لم يوطّنوا أنفسهم في الدنيا، وإنَّما هم عليها مستوقرون، ولمَّا أرشده ونهاه عن فعل التّبختر قال: (ولا تمش فيها مرحًا)، بل(امش عليها هونًا)))[١١٥]. فالمشي في الأرض يشعر بتوطين النَّفس فيها، وتعلّقها بها، بخلاف المشي عليها، لذلك عُدّي الفعل بـ(في) في سياق الحديث عن مشي المتكبّرين، وفي الأمر بالسعي الدّنيويّ في طلب الرّزق، وفي الحديث عن الصّفات الدّنيويّة للأنبياء والرّسل.

وعُدّي بـ(على) أيضًا في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[١١٦]، ((للإشارة إلى الوضع المادّي للماشي أنَّه فوق الأرض، ودون تغلغل ودخول في المسالك... فدلالة(على) هنا أقرب إلى كونها للاستعانة، فمدخولاتها ليست إلاَّ أدوات المشي، ولكن اللغة وهي تستعمل[١١٧] هذه الضميمة نظرت إلى وضع الجسم بالنسبة لهذه الأدوات، فكأنَّه يمشي عليها لا بها، وبسبب وضع الاستعلاء هذا جاء استعمال[١١٨] (على)))[١١٩].

وعُدّي بـ(على) أيضًا في سياق الحديث عن ابنة شعيب(عليه السّلام) في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[١٢٠]، فالقرآن الكريم يصوّر لنا خير تصوير مشهد ابنة شعيب(عليه السّلام) وهي مستحيية متعفّفة[١٢١].

فلم يكتف الذكر الحكيم بتصوير وقار مشيتها ولينها ورفقها بقوله: (تمشي على الأرض)، لا فيها، بل وصفها تمشي على الحياء، لا على الأرض.

وعُدّي بـ(على) أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١٢٢)، فالآية الكريمة تصوّر المؤمن ماشيًا على صراط مستقيم، مستعليًا عليه، قال الزّمخشريّ: ((فإن قلت: ما معنى يمشي مكبًّا على وجهه؟ وكيف قابل﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قلت: معناه يمشي معتسفًا في مكان معتاد غير مستوفيه، وفيه انخفاض وارتفاع، فيعثر كلّ ساعة، فيخرّ على وجهه منكبًّا، فحاله نقيض حال من يمشي سويًّا، أي: قائمًا سالمًا من العثور والخرور))(١٢٣).

وعُدّي الفعل بـ(الباء) ثلاث مرّات، في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(١٢٤)، وقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾(١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١٢٦).

وقد جاءت جميعها للدلالة على الواسطة.

الخاتمة والنتائج

وختامًا فالقرآن الكريم ليس فيه نيابة، فكلّ حرف جاء في موضعه الصّحيح منتظمًا مع الفعل لإعطاء دلالة معيّنة قصدها المتكلّم- جلّ جلاله- تُناسب السّياق تمام المناسبة. وليس فيه تضمين، فالفعل المستعمل يحمل من الدّلالة ما لا يحمله الفعل الذي قيل فيه إنَّه تضمَّن معناه. ويمكن إجمال أهمّ النتائج التي توصَّل إليها البحث فيما يأتي:

١- إنَّ الفعل الذي يُعدّى بأكثر من صورة، يحمل في كلّ مرّة دلالة تختلف عن دلالته في أنماط التّعدية الأخرى، ولا يمكن القول بتساوي الأنماط المختلفة للتعدية.

٢- إنَّ النَّحويّين والمفسّرين يقرون بوجود فروق دقيقة بين الأنماط المختلفة للتعدية، والدَّليل على أنَّهم يُفرّقون بينها ما وجدوا السَّبيل إلى ذلك، وفي كتبهم كثير من الإشارات الجميلة التي تكشف عن لطائف التَّعبير القرآنيّ ودقّته، غير أنَّهم متى عسر عليهم إيجاد الفرق بين التَّراكيب المختلفة، قالوا بتساويها.

٣- إنَّ تقارب معاني عدد من حروف الجر، كان سببًا مهمًّا من أسباب قول النَّحويّين باتّحاد معناها، من ذلك قولهم بتناوب(إلى) و(اللام) والحقيقة أنَّ الأفعال التي تمّت دراستها أثبتت أنَّه لا تناوب بينهما، وأنَّ بينهما فرقًا دقيقًا هو أنَّ(إلى) يدلّ على المسافة الزّمانيّة، أو المكانيّة التي يقطعها الفاعل للوصول إلى نهاية الغاية، ومنتهى القصد. ومن ذلك أيضًا قولهم بتناوب(الباء) و(في)، والحقيقة أنَّ بين الحرفين فرقًا أثبتوه هم في كتبهم حينما قالوا: إنَّ(الباء) يفيد الإلصاق، و(في) يفيد الظرفيّة، ولو أنَّهم استمروا على منهجهم هذا، ولم يقولوا بتناوبهما، لكشفوا عن كثير من أسرار التَّعبير القرآنيّ.

العدد ٥٧

٢٢ رجب ١٤٤٠هـ

٣٠ آذار ٢٠١٩م

الهوامش

(١) ينظر: التّعبير القرآنيّ والدّلالة النفسيّة ٢٤٣.
(٢) جامع البيان ١٣١/١ .
(٣) البقرة ١٨٧ .
(٤) التوبة ٤ .
(٥) البقرة ١٩٦ .
(٦) ينظر: الكشاف ١١٨ .
(٧) التحريم ٨ .
(٨) الكشاف ١١٢٢.
(٩) هود ٢٣ .
(١٠) الحج ٥٤.
(١١) ينظر: تاج العروس(خبت).
(١٢) ينظر: لسان العرب(خبت) .
(١٣) الميزان ١٨٥/١٠.
(١٤) الحج ٥٤-٥٥ .
(١٥) الكشاف ٤٨٠ .
(١٦) الأعراف ٢٠.
(١٧) طه ١٢٠.
(١٨) ينظر: الكشاف ٦٦٨.
(١٩) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١٨٢/٢.
(٢٠) ينظر: الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ٢٢٠ .
(٢١) الأعراف ١٩-٢٠ .
(٢٢) ينظر: من أسرار حروف الجرّ في الذكر الحكيم ٢٢٧- ٢٢٨ .
(٢٣) طه ١١٧- ١٢٠.
(٢٤) طه ٣٩ .
(٢٥) الآية نفسها، الموضع نفسه .
(٢٦) الحجر ١٩، ق ٧ .
(٢٧) النحل ١٥، لقمان ١٠.
(٢٨) آل عمران ١٥١.

(٢٩) الأنفال ١٢.

(٣٠) الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ٤٣٠.

(٣١) الإسراء ٣٩ .

(٣٢) الصافات ٩٧ .

(٣٣) فصلت ٤٠.

(٣٤) ق ٢٦.

(٣٥) الملك ٧.

(٣٦) الملك ٨.

(٣٧) يوسف ١٠.

(٣٨) القصص ٧.

(٣٩) الحج ٥٢ .

(٤٠) ينظر: جامع البيان ٢٤٤/١٧، والفروق اللغوية ١٤٢، ومفردات غريب القرآن ٤٧٦، والجامع لأحكام القرآن ٧٩/١٢، والبحر المحيط ٤٣٦/١.

(٤١) ينظر: الميزان ٣٩٣/١٤.

(٤٢) لقمان ٣٣، فاطر ٥ .

(٤٣) الحديد ١٤ .

(٤٤) الانفطار ٦ .

(٤٥) آل عمران ٢٤.

(٤٦) ينظر: الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ٤٠٣-٤٠٤ .

(٤٧) ينظر: مجمع البيان ٤٤٩/٥، والتفسير الكبير ٢٠٣/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/١٩.

(٤٨) ينظر: الكشاف ١١٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/١٩، والدرّ المنثور ٣٢٣/٦، والفتح القدير ٣٩٧/٥، والميزان ٣٤١/٢٠، والأمثل ٤٢٧/١٩.

(٤٩) الأمثل ٤٢٧/١٩.

(٥٠) ينظر: جامع البيان ٢٩٧/٣، والكشاف ١٦٦، ومجمع البيان ٤٢٤/١، والبحر المحيط ٤٣٥/٢.

(٥١) الميزان ١٣١/٣.

(٥٢) الصافات ١٤٥.

(٥٣) القلم ٤٩ .

(٥٤) القصص ٤٠ .

(٥٥) الذاريات ٤٠ .

(٥٦) الصواب: استُعملت.

(٥٧) الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ٤١٦ .

(٥٨) الصافات ١٤٦.

(٥٩) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني ٣٦٣/١-٣٦٤.

(٦٠) الميزان ١٩/ ٤٠٤.

(٦١) الحجرات ٥ .

(٦٢) المائدة ٦١ .

(٦٣) القصص ٧٩.

(٦٤) مريم ١١ .

(٦٥) يوسف ٣١.

(٦٦) التوبة ٤٧ .

(٦٧) الصافات ٦٤.

(٦٨) القصص ٢١.

(٦٩) الكشاف ١٠٣٤ .

(٧٠) الكشاف ١٠٣٤ .

(٧١) ينظر: مجمع البيان ٣٧٢/٣، والتفسير الكبير ٣٨/١٢.

(٧٢) التفسير الكبير ٣٨/١٢ .

(٧٣) ينظر: روح المعاني ١٧٧/٦.

(٧٤) ينظر: مجمع البيان ٤٦١/٧ .

(٧٥) ينظر: جامع البيان ١٤٠/٢٠.

(٧٦) ينظر: الكشاف ٨١٠.

(٧٧) ينظر: معاني القرآن(النّحّاس) ٣١٤/٤، والجامع لأحكام القرآن ٨٤/١١، والأمثل ٤١٤/٩-٤١٥.

(٧٨) ينظر: الميزان ١٤٩/١١، والأمثل ٧/ ١٩٩-٢٠٠.

(٧٩) الفعل في القرآن الكريم، تعديته ولزومه ١٤٨.

(٨٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣٣٠/٥، مجمع البيان ٦٤/٥.

(٨١) الفعل في القرآن الكريم، تعديته ولزومه ١٤٥.

(٨٢) ينظر: الكشاف ٩٠٧، والتفسير الكبير ٤٢/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٨٦/١٥، وأنوار التنزيل ١٥/٥، وتفسير الجلالين ٥٩١، روح المعاني ٩٥/٢٣.

(٨٣) ينظر: لسان العرب(خرر).

(٨٤) النحل ٢٦ .

(٨٥) الفرقان ٧٣.

(٨٦) يوسف ١٠٠ .

(٨٧) الإسراء ١٠٧ .

(٨٨) الإسراء ١٠٩.

(٨٩) الحج ٣١.

(٩٠) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٤١/١٠، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٨٥، والبحر المحيط ١٣٠/١، وروح المعاني ١٩٠/١٥ .

(٩١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٤١/١٠ .

(٩٢) التفسير الكبير ٦٩/٢١.

(٩٣) ينظر: الكشاف ٦١١، وأنوار التنزيل ٤٧١/٣، وفتح القدير ٢٦٤/٣.

(٩٤) الفتح القدير ٢٦٤/٣ .

(٩٥) ينظر: روح المعاني ١٨٩/١٥-١٩٠.

(٩٦) ينظر: مجمع البيان ١٥١/٦، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٤٢.

(٩٧) ينظر: روح المعاني ١٢٥/١٤.

(٩٨) البرهان في علوم القرآن ٦٧/٣ .

(٩٩) جامع البيان ٦٥/١٩.

(١٠٠) ينظر: التفسير الكبير ٢١٢/١٨، والبحر المحيط ٣٤٢/٥، وروح المعاني ١٣/ ٥٨ .

(١٠١) ينظر: لسان العرب(سجد) .

(١٠٢) ينظر: الكشاف ٥٣١ .

(١٠٣) يوسف ٤.

(١٠٤) البقرة ٢٠ .

(١٠٥) الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ١٨٦ .

(١٠٦) الإسراء ٣٧ .

(١٠٧) لقمان ١٨ .

(١٠٨) طه ١٢٨، والسجدة ٢٦.

(١٠٩) الفرقان ٧.

(١١٠) الآية نفسها ٢٠ .

(١١١) الملك ١٥.

(١١٢) الفرقان ٦٣.

(١١٣) التفسير الكبير ١٠٧/٢٤.

(١١٤) الإسراء ٣٧.

(١١٥) البرهان في علوم القرآن ١٧٦/٤.

(١١٦) النور ٤٥.

(١١٧) في المصدر(تستخدم)، والصواب ما أثبته.

[118] في المصدر(استخدام)، والصواب ما أثبته.

[119] الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه ١٨٦-١٨٧.

[120] القصص ٢٥ .

[121] ينظر: جامع البيان ٧٤/٢٠، والكشاف ٧٩٧، والميزان ٢٦/١٦ .

[122] الملك٢٢.

[123] الكشاف ١١٢٧.

[124] الأنعام ١٢٢ .

[125] الأعراف ١٩٥ .

[126] الحديد ٢٨ .

المصادر

القرآن الكريم

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، لناصر مكارم الشيرازيّ، الناشر: مدرسة الإمام علي، قم المقدّسة، مطبعة أمير المؤمنين(ع)، ط١/١٤٢١هـ.
- أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، للبيضاويّ(٦٨٥هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ(٧٤٥هـ)، تقديم: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوض، تحقيق: الدّكتور زكريّا عبد الحميد النوقيّ، والدّكتور أحمد النّجوليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١/١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشيّ(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابيّ وشركاؤه، القاهرة، ط١/١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيديّ، محمّد مرتضى الحسني(ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- التّبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبريّ(٦١٦هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجّاويّ، دار الجيل، بيروت، ط٢/١٩٨٧م.
- التّبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسيّ(ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١/١٤٠٩هـ
- التّعبير القرآنيّ والدّلالة النّفسيّة، للدكتور عبد الله محمّد الجيوسيّ، دار الغوثانيّ للدراسات القرآنيّة، دمشق، ط١/٢٠٠٦م.
- تفسير الجلالين، لجلال محمّد بن أحمد المحليّ، وجلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطيّ، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- التّفسير الكبير، للرازيّ (ت٦٠٦هـ)، ط٣، (د.ت).

- جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن، للطبريّ(ت٣١٠هـ)، تقديم: الشّيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ(ت٦٧١هـ)، تصحيح: أحمد عبد العليم البردونيّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّأريخ العربيّ، بيروت، (د.ت).
- الدّرّ المنثور، لجلال الدين السيوطيّ(ت٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، للآلوسيّ(ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- شرح الرّضي على الكافيّة، للأستراباديّ(ت٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مطابع الشّروق، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، للشوكانيّ(ت١٢٥٠هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- الفعل في القرآن الكريم، تعديته ولزومه، لأبي أوس إبراهيم الشمسان، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الفروق اللغويّة، لأبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، ضبطه وحقّقه: حسام الدّين القدسيّ، دار الباز للنشر والتّوزيع، مكّة المكرمة، دار الكتب العلميّة، بيروت -١٤٠١هـ -
- القرآن الكريم وتفاعل المعاني، للدكتور محمّد داود، دار غريب، القاهرة، ط١/٢٠٠٢م.
- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله الزّمخشريّ(ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١/٢٠٠٢م.
- لسان العرب، لابن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنّشر، ودار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- مجمع البيان، للطبرسيّ(ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، تقديم: السّيّد محسن الأمين العامليّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- معاني القرآن، للنحّاس(ت٣٣٨هـ)، تحقيق: الشّيخ محمّد عليّ الصّابونيّ، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط١/١٤٠٩هـ .
- مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهانيّ(ت٤٢٥هـ)، دار نشر الكتاب، ط٢/١٤٠٤هـ .
- من أسرار حروف الجرّ في الذكر الحكيم، للدكتور محمّد الأمين الخضريّ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٩٨٩م.
- الميزان في تفسير القرآن، للعلاّمة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، مؤسّسة الأعلى، بيروت، ط١/١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٢
رجب
١٤٤٠هـ
٣٠ آذار
٢٠١٩م

In the name of of Allah the Merciful

Praise be to God who favored the Koran to all nations, and gave us what did not come to any of the worlds, and prayers and peace be upon our master Muhammad and his good and pure family, and companions Almgaym.

After:

The verb of the verb, which the grammarians claim that the trajectory is in a way that helps them to reach the effect, we say: This type of acts is not the accompanying trajectory and a mode of transgression, because the verb is not limited to access to its own effect, It increases on the meaning of deed and effect.

As my love for the Arabic language, and my love for it, stems from the fact that it is the language of the Holy Quran, I have to invest my knowledge of the grammar of the language in searching for the secrets of the word of Allah and revealing its deep meanings and its constituencies. Scattered in the books of interpretation and miracles, which reveal the wisdom of the saying, the accuracy of language, and the acumen of the interpreter.

Followed a method based on the extrapolation of a number of acts of the Holy Quran did not come at a single pace in terms of infringement of the verb letters, tried to identify the differences between them, refusing to say (prosecution), or (inclusion.(